الاوامر الربانية في معاملة الاسرى اليهود
(دراسة تاريخية)

الدكتور
احمد علي صكر
الجامعة الاسلامية
كلية التربية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على حبيبه الذي اصطفاه :.

ان نعم الله لاتحصى على عباده وكتاب الله العزيز أحد هذه النعم العظيمة اذ انزله تعالى على رسوله الامين صلى الله عليه وسلم بلغة العرب دليلاً على اعجازه وقدرته على مواكبة التطورات الحضارية عامة سواء كان ذلك في مفرداته ومصطلحاته ام في بيانه وبلاغته ام في كثرة مرادفاته فقد اودع الله القدير في قرانه العظيم الكثير من الكنوز العلمية في شتى انواعها وفنونها مما اعيت العلماء عبر تلك القرون لتفسيره لذا نراهم يتنافسون لكشف اغواره وتحليل اقواله حتى عجت المكتبات بعشرات الالوف من الكتب دون ان تحصي معانيه واحكامه فتبارك الله احكم الحاكمين ان هذه الدراسة (الاوامر الربانية في معاملة الاسرى) ماهي الا دراسة مقتضبة وددت من خلالها التعرف على التشريع الالهي في التعامل مع الاسرى وعلى الحكمة من وراء هذا التشريع اذ المدلول العام للايات القرانية تصور للذي يقراها اول وهلة بانها تأمر المسلمين بقتل المشركين وعدم

اخذهم اسرى مما يترك انطباعا بان الدين الاسلامي انما انتشر بالسيف والقوة سيما اذا علمنا ان هذه الاحكام كانت بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدنية حين كانت الدولة الاسلامية في مرحلة التكوين والبناء ومما لاشك فيه ان الدين الاسلامي يعد حق الحياة من بين اهم الحقوق الجوهرية للانسان لا بل انه يفوقها جميعاً من حيث الاهمية فهو اساس كل الحقوق وعليه تبنى جميعها كونه هبة من الله تعالى وليس للانسان فضل في ايجاده قال تعالى **{أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}**[١] اذن فما هو المغزى من هذه الاوامر الربانية بحق الاسرى هذا ماتناولته هذه الدراسة حيث قسمت الى تمهيد ومبحثين تناول التمهيد تعريف الاسر من الناحية اللغوية والايات التي تناولت هذا اللفظ في القران الكريم اما المبحث الاول فهو دراسة في سورة البقرة والدلالة المتحصلة فيها عن الايات التي فيها لفظ (اسرى) والامر الالهي الذي نزل بحقهم . واما المبحث الثاني فقد تناولت فيه شرح هذا اللفظ في سورة الاحزاب وما تمخض عنه من احكام وتشريعات نتيجة للافعال التي قام بها هؤلاء اليهود من نقض للعهود والمواثيق كما تطرق البحث الى دراسة الرواية التاريخية ومناقشة ما جاء في رواية ابن اسحاق (ت ١٥١هـ) حول عدد القتلى الذي امر رسول الله (ص) بقتلهم من الاسرى اليهود وتبيان ما شابه هذه الرواية من ضعف في المتن والاسناد وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع التي اغنتني في هذا المجال وادعو الله ان اكون

[١]القران الكريم ، سورة المائدة ، اية ٣٢ .

قد وفقت من خلال هذه الدراسة ان التمس طريق الصواب لكل مايرضيه وان اخطأت فكل ابن آدم خطاء .

تمهيد

في القرن السابع الميلادي ظهر الدين الاسلامي في شبه جزيرة العرب وبالتحديد في مكة المكرمة حيث قام النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الدين الجديد سراً وعلانية طيلة ثلاث وعشرين سنة متتالية وفي هذه المدة نزلت سور القران الكريم منجمة على رسول الله وكانت تشتمل على الشرائع التي فرضت على المسلمين وكانت للنبي عليه الصلاة والسلام اجتهادته الخاصة وتفسيراته النبوية فيما يتعلق بتفهيم الناس معنى القران وشرح ماغمض من معانيه لهم باحاديثه وافعاله ومما لاشك فيه ان مرحلة بناء الدولة الاسلامية قد جابهت مخاضا عسيراً وقدمت الكثير من التضحيات حتى اقيمت الاسس والقواعد لبناء المجتمع الاسلامي فسنت انظمة وقوانين كانت تتماشى مع كل مرحلة من مراحل النشوء والبناء التي مرت بها هذه الدولة ومن ضمن هذه القوانين كيفية التعامل مع الاسرى خاصة في المعارك الاولى للمسلمين .

والمعنى اللغوي للأسير من أسر بأسره اسراً وهو القد ومنه سمي الاسير[1]، يقال اسرت الرجل اسر واسارا فهو اسير ومأسور والجمع اسرى واسارى وتقول استأسر

[1]الجوهري ، الامام اسماعيل بن حماد ، معجم الصحاح ، تعليق خليل مأمون شيما ، (بيروت ٢٠٠٥) ،ص٤٢ .

أي كن اسيراً لي والاسير الاخيذ واصله من ذلك وكل محبوس في قد او سجن اسيراً[١]، ويقال للاسير من العدو اسير لان اخذه يستوثق منه بالاسار وهو القد لئلا يفلت[٢] وقد وردت كلمة الاسر في القران الكريم في اربع سور فقط هن البقرة والأحزاب والانسان وسورة الانفال .

قال تعالى : **{ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى }**[٣] .

قال تعالى:**{وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا }**[٤]

قال تعالى : **{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا }** [٥] .

قال تعالى : **{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ}** [٦].

---

[١]ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ، لسان العرب ، دار صادر (بيروت بلا) ، مادة اسر.

[٢]الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر ، بيروت بلا ، مادة اسر .

[٣]القران الكريم ، سورة البقرة ، اية ٨٥ .

[٤]القران الكريم ، سورة الاحزاب ، اية ٢٦ .

[٥]القران الكريم ، سورة الانسان ، اية ٨ .

[٦]القران الكريم ، سورة الانفال ، اية ٦٧ .

قال تعالى : **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى }**[1] .

من خلال النصوص القرآنية السابقة نجد كلمة اسرى قد وردت في عدة مواضع ولها احكام وتشريعات مختلفة فتارة نرى فيها نهياً للرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) عن عدم اخذ اسرى لغرض الفدية وتارة نرى اوامر ألهية بعدم الاقتداء باليهود في معاملة الاسرى على اساس انهم يستمدون احكامهم من التوراة التي في ايديهم واخرى نرى فيها وجوب معاملة الاسرى معاملة انسانية وتوفير كل ما يلزمهم من احتياجات وضروريات لأنهم بشر وان جل التشريعات والرسالات السماوية انما انزلت الى بني آدم لهدايتهم لأنهم أسمى ماخلق الله تبارك وتعالى **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }**[2] وانه لمن الضرورة بمكان مناقشة هذا الموضوع الذي عزف الكثير من المؤرخين عن الولوج اليه وعدم التحدث عنه لاعتبار ان قيام الرسول (ص) بقتل الاسرى مسألة تحتاج للوقوف عندها وخاصة اذ ماعلمنا ان اعداد هؤلاء الاسرى يتراوح مابين (٧٠٠الى ٩٠٠) اسير من اليهود الذين نقضوا العهد مع المسلمين في معركة الخندق[3] .

<u>المبحث الاول</u>

[1] القران الكريم ، سورة الانفال ، اية ٧٠ .

[2] القران الكريم ، سورة الاسراء ، اية ٧٠.

[3] ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب ، سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني (القاهرة ٩٧١) ج٣ ، ص٧٢٤ .

الاوامر في سورة البقرة

قال تعالى في سورة البقرة ({ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }[١] صدق الله العظيم.

اجمع المفسرون على ان هذه الاية الكريمة نزلت بحق اليهود الذين سكنوا في المدينة[٢] ومن الجدير بالذكر ان اليهود قد سكنوا المدينة بعد ان تم طردهم من بيت المقدس وتهديم معابدهم على يد الامبراطور الروماني تيطوس في عام ٧٠ م[٣] ، في حين يرى اخرون انهم استقروا فيها منذ ايام النبي موسى (عليه السلام) وكان سكانها الاصليون هم العماليق فارسل اليهم النبي موسى جيشاً انتصر عليهم وكان ذلك في عهد ملكهم الارقم بن ابي الارقم ولم يتركوا منهم احداً وسكن اليهود في مواقعهم[٤] وقد اختلط هؤلاء بالعرب بعد ان استوطنوا في مدينة يثرب وصارت احوالهم مثلهم واستحالت لغتهم ايضا وصيرواَ اسماءهم عربية وان كانوا

---

[١] القران الكريم ، سورة البقرة ، اية ٨٥.

[٢] ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ، تفسير القران الكريم ، مكتبة الهلال (بيروت ٢٠٠٨) ، ج١ ،ص١١٩.

[٣] عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، (مصر ١٩٧٣) ،ص ٢٥٩.

[٤] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، مكتبة جرير ، (بيروت ٢٠٠٦) ، ج٤ ،ص٩٧.

مع ذلك يعيشون في اماكن خاصة بهم سموها أطام جمع أطم وهي عبارة عن قلاع تشتمل على بيوتهم ومعابدهم[١] لكي يكون لهم كيان خاص يميزهم عن غيرهم لكننا مع ذلك لانستطيع ان نتحدث عن هجرة اليهود الى جزيرة العرب حديثاً علمياً معززاً بالوثائق والتواريخ لان يهود جزيرة العرب لم يتركوا اثراً مكتوباً يتحدث عن ماضيهم فيها وليس لنا من تاريخ اليهود سوى ماجاء في القران وكتب الحديث والتفسير ويظهر ان هؤلاء اليهود بعد ان استقروا في يثرب (المدينة المنورة) وما جاورها من قرى اصبحوا مجاميع واشهرهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير واصبحوا يتنازعون بينهم كما يفعل نضراؤهم العرب سكنت يثرب من الاوس والخزرج لفرض سيادة الاقوى والاستئثار بالثروات علما ان اليهود اصحاب كتاب وان الشريعة التي يحتكمون اليها تحرم القتل فيما بينهم على خلاف الاوس والخزرج الذين كانوا على دين الوثنية وليس لديهم وازع ديني يمنع الاقتتال بينهم بل كان هو ديدنهم ومصدر رزقهم وموردهم الى ان جاء الاسلام فآخى بينهم ، فنبذوا ماكانوا عليه من اختلاف وفرقة وعرفوا بعد ذلك بالانصار (وهو اللقب الذي عرف به بعد ذلك مسلموا المدينة)[٢] ان الاية الكريمة في سورة البقرة (**{ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ }** ماهي الا اوامر ربانية للانصار والمهاجرين بعدم الاقتداء باليهود الذين اجازو القتال فيما بينهم فيستعاض بكلمة (انفسكم) باعتبارهم يتبعون شريعة موسى وقد حرم القتل فيها قال تعالى**{مِنْ أَجْلِ**

---

[١]عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ١٩٦٠) ط٢،ج١،ص١٠٦

[٢]فليب حتي ، تاريخ العرب ، دار الكاشف للنشر (بيروت ١٩٨٦) ص١٨٦.

ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ}[١] فالمراد بذلك لم يقاتل بعضكم بعضاً وانتم تدعون اتباعكم للتوراة التي فيها تحريم للقتل ، لمن لايتبع دينكم وملتكم الا اذا اضطررتم لـه فاذا انتم تقتلون انفسكم أي بعضكم البعض الاخر وانتم على نفس الشريعة والمنهاج ، وعملا بما كان سائد من اعراف في ذلك الوقت فان يهود المدينة قد دخلوا في احلاف مع العرب[٢] سكنة يثرب من قبيلتي الاوس والخزرج يكون بمقتضى هذا الحلف اذ ماتعرضت احدى هذه القبيلتين الى أي اعتداء فان الطرف اليهودي المحالف لها يكون ملزماً بالقتال الى جانبها وذلك قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم اذ حالف بنو قينقاع وبنو النضير الخزرج وحالف بنو قريضة الاوس فكانت الحرب اذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي اعداءه وقد يقتل اليهودي يهودياً من الفريق الاخر وذلك محرم عليهم في دينهم ونص كتابهم ثم اذا وضعت الحرب اوزارها استفكوا الاسرى من الفريق المغلوب[٣] قال تعالى **{وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ }** المقصود بالتحريم هنا هو النهي عن حرمة القتل وسفك الدماء فيما

---

(١)القران الكريم ، سورة المائدة اية ٣٢ .

(٢)عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٢٦٣ .

(٣)السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت٢٠٠٠) ، ص٥٨ .

بينكم (واخراجهم) اي من بيوتهم لقتلهم واسرهم فهو الاصل المنهي عنه في دينكم وشريعتكم ايها اليهود اما الاسرى فالاوامر الربانية التي ذكرت عندكم في التوراة توصي بدفع فديتهم ليعودوا لاهلهم وذويهم سالمين ، اذن الاصل في النهي عدم جواز الاقتتال اصلاً لذا فهذا النقيض الذي يتعامل به اليهود هو مدلول الاية الكريمة التي امر الله من خلالها المسلمين ان لايحذو حذو اليهود بالتعامل مع احكام الله وفق مقتضيات مصالحهم الشخصية قال تعالى {**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**}[١] يروي ابن كثير حجج اليهود في ذلك بقوله فاذا اسر رجل من الفريقين كلاهما (اي حلفاء الاوس والخزرج من اليهود) جمعوا له حتى يفدوه فتعيرهم العرب بذلك يقولون كيف تقتلونهم وتفدونهم قالوا انا امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ، قالوا فلم تقاتلوهم قالوا نستحي ان تستذل حلفاؤنا[٢] لذلك فان الامر الالهي انما جاء هنا ليضرب للمسلمين المثل بضرورة الخضوع لاوامر الله كلها وليس كما كانت تفعل اليهود وخاصةً ان هؤلاء اليهود ليسوا ببعيدين عنهم اي بمثابة شاهد حي لديكم اذ ان اغلب المسلمين في المدينة هم معاصرون لما ماكان يجري بينهم من حروب قبل اسلامهم لانهم طرف فيها ومن المعارك المشهورة التي حدثت في المدينة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يوم السراة ويوم وفاق بني خطمة ويوم حاطب بن قيس ويوم أطم بني

---

[١]القران الكريم ، سورة البقرة ، اية ٨٥ .

[٢]ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ، تفسير القران الكريم ، مكتبة الهلال ، (بيروت ٢٠٠٨) ،ج١،ص١١٩

سالم ويوم البقيع ويوم بعاث ويوم مضرس ومعبس ويوم الدار[1] لذا فان الاحكام الاهية في هذه السورة ليس بها اساءة للاسرى انما هي ذم لليهود الذين يتخذون من بعض الاحكام ذريعة لهم ويتجاهلون احكاما اخرى مستخفين بها وباهميتها فاراد الله ان يشهد عليهم المسلمين كي لايحذو حذوهم يقول سيد قطب (يحدث الجماعة المسلمة عن حال اليهود ومواقفهم التي يتجلى فيها العصيان والالتواء والانحراف والنكول عن العهد والميثاق ويواجه اليهود بهذه المواقف على مشهد من المسلمين)[2] .

---

[1] اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب ، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق خليل المنصور ، دار الاعتصام ، (طهران بلا) ،ج٢،ص٢٥ .

[2] سيد قطب ، في ظلال القران ، دار الشروق ، (مصر ٢٠٠٤ ، ط ١ ، ج١، ص٨٧ .

المبحث الثاني

الاوامر الربانية في الاسرى في سورة الاحزاب

قال تعالى : {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا }(١) صدق الله العظيم

ان الاية الكريمة توثق لنا حدثاً تاريخياً غاية في الاهمية اذ احدث انعطافة مفصلية في تاريخ الامة الاسلامية حيث بنيت عليه الكثير من الاحكام الشرعية ومن ضمن تلك الاحكام الموقف التشريعي للاسرى في هذا الحدث فهل يعاملون كاسرى وتأخذ منهم فدية ويطلق سراحهم ؟ ام يعدون خارجين عن شرع الله وتقام بحقهم الحدود الشرعية ؟ ام يعدو ناكثي عهد لاعتبار انهم من غير ملة الاسلام ؟

ولمعرفة الحكم علينا الرجوع للحدث التاريخي الذي من سياقه جرى الحكم الشرعي بهم سيما ان الذي اوجد الحكم هو احد الصحابة فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه .

من المعلوم ان اليهود قد سكنوا المدينة منذ زمن بعيد واستوطنوها واقاموا بها واستثمروا اراضيها وشيدوا بها الحصون او الاطم وكان لهم بيت يعرف باسم بيت المدارس كان يجلس فيه علماؤهم واحبارهم يتدارسون التوراة ويفصلون فيما شجر بينهم(٢) وحين اذن الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة من مكة الى

(١)القران الكريم ، سورة الاحزاب ، اية ٢٦ .

(٢)عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام ،ص٢٦٠ .

المدينة بعد بيعة العقبة[١] عمل على بناء دولة اسلامية دستورها القران واخا بين المهاجرين والانصار وعقد عهداً مع اليهود تضمن الكثير من المواثيق والعهود التي تضمن لهم حقوقهم وحرية ممارسة عقائدهم وقد اوردت جل المصادر التاريخية هذه الوثيقة التي عدت نموذجاً فريداً في حقوق الانسان تحتذى فيه الدساتير الحديثة ومن اهم ماجاء بتلك الوثيقة (ان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه وان النصر للمظلوم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ... وانه لاتجار قريش ولا من نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب) [٢] .

اذ على هذه الشروط تم وضع اساس العلاقة بين اليهود والرسول صلى الله عليه وسلم الذي يمثل كل المسلمين في المدينة في ذلك الوقت السؤال المطروح ما الذي احدثه بنو قريظة حتى جرى تقسيمهم الى قسمين قسم يقتل والاخر يؤسر حسب الاوامر الربانية التي وردت في الاية الكريمة ، وقبل الاجابة على هذا السؤال نورد حدثا تعرض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحاولة قتل من اليهود ورغم ذلك لم يحكم عليهم بهذا الحكم فحين ذهب الى يهود بني النظير ليستعينهم في دفع فدية لاحد اصحابه وبينما هو جالس فيما بينهم تامروا

---

[١]الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (القاهرة ١٩٧٦) ، ج٢، ص٣٦٢ .

[٢]ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج ٢ ،ص٢٧١ .

على قتله فقالوا من يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه فانتدب له عمرو بن جحش فاتى الخبر من السماء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عزموا عليه فقام[1] ورغم هذه المحاولة الخسيسة التي قام بها اليهود لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه لم يقتل او يأسر احداً منهم واكتفى باخراجهم من المدينة لانهم خرقوا هدنة الصلح ولم يحترموا العهد المبرم بينهم ، وبالعودة الى يهود بني قريظة الذين نزلت فيهم الاية الكريمة في سورة الاحزاب نجد ان العمل الذي اقدم عليه هؤلاء كاد يهلك المدينة كلها ولم يكن مساس بشخص الرسول وحده يصف ابن كثير في تفسيره لسورة الاحزاب مقدار الرعب والخوف الذي كان عليه المسلمون بعد ان احيط بهم من كل جانب اذ يقول في تفسير قوله تعالى (اذ جاءوكم من فوقكم) اي الاحزاب وهم قبائل العرب ممن تحالف مع قريش في حربهم ضد المسلمين في المدينة (ومن اسفل منكم) اي بني قريظة (واذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) اي من شدة الخوف والفزع (وتظنون بالله الظنونا) اي ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لايقدر على ان يذهب الى الغائط[2] والسبب في ذلك الرعب انه لما جمعت قريش فلولها من غطفان وسليم واسد واشجع وتقدمت نحو المدينة على مايروي المسعودي باربعة وعشرين الف مقاتل وكان

---

[1] ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد الجزري ، الكامل في التاريخ ، تحقيق مامون شيحا ، دار المعرفة (بيروت ٢٠٠٧) ، ج٢،ص١٥٥ .

[2] ابن كثير ، تفسير القران الكريم ،ج٣، ص ٤٣٨ .

عدد المسلمين نحو ثلاثة آلاف اشار سلمان الفارسي بحفر الخندق[1] فكانت المدينة محصنة ومن ضمن الموانع او الحصون هو اراضي يهود بني قريظة الذين اقرو المعاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما اسلفنا وكانوا قبل الاسلام بحلف مع قبيلة الاوس التي يتزعمها سعد بن معاذ وحين احاط المشركون بالمدينة تواترت الانباء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يهود بني قريظة نقظوا المعاهدة وانهم أئتلفوا مع المشركين في حربهم ضد المسلمين مما يعني من الناحية العسكرية ان جيش الرسول اصبح بين فكي كماشة فبادر النبي الى ارسال مجموعة من الصحابة منهم سعد بن معاذ حليفهم وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير للتفاوض معهم لكنهم (اساءوا الاجابة) [2] واصروا على موقفهم بنقض اي اتفاق مما يعني فعليا ان المدينة اصبحت ساقطة عسكرياً وما ان انتشر خبر نقض بني قريظة لمواثيقهم مع رسول الله حتى دب الذعر في صفوف المسلمين وهمت طائفة بالفرار وجاءت تستأذن رسول الله صلى الله كذبا ونفاقاً يقولون (**﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾**)[3] ووقف رسول الله بين اعداء من الامام (قريش ومن سار معها من القبائل) واعداء من الخلف (يهود بني قريظة) فضلاً عن المنافقين الذين اخذوا بتخذيل الناس من الداخل (يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم) اي ود

[1] المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، التنبيه والاشراف ، مكتبة الهلال ، بيروت (١٩٨١) ص٢٣٢ .

[2] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٤.

[3] القران الكريم، سورة الاحزاب ،اية ١٣ ، والعورة في الثغور والحرب : امر يخاف منه ،

هؤلاء المنافقون انهم ليسوا في المدينة ولا في القرب منها وانهم مع الاعراب في البادية يستخبرون عن اخباركم ويسألون عن انبائكم ماذا حصل[١] فحصلت الجلبة في ارجاء المدينة وفي جيش الرسول بعد ان تضافرت عليهم المحن من كل جانب وصوب وكان لسان حالهم يقول :.

ولو كان هماُ واحداً لاتقتيه ولكنه هم وثان وثالث

وعن مدى الرعب والخوف الذي دب في صفوف المسلمين جراء نقض بني قريظة لعهودهم مع رسول الله يورد ابن كثير هذه الروية (قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان (رضي) يا ابا عبد الله رأيتم رسول الله وصحبتموه قال نعم ياأبن اخي قال وكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو ادركناه ماتركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا ، قال حذيفة (رضي) يا أبن أخي والله لو رأيتنا مع رسول الله بالخندق ... التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم يشترط له النبي ان يرجع ادخله الله الجنة، قال فما قام رجل ثم صلى ثم التفت الينا فقال مثله فما قام منا رجل ثم صلى ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع أسال الله تعالى ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر مايفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا) [٢] اذن فلو حافظ يهود بني قريظة على عهدهم مع رسول الله ما كان يحدث كل هذا

[١]ابن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٦٦ .
[٢]ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ج٣،ص٤٣٦.

الارباك في صفوف المسلمين لان هنالك جبهة واحدة ياتي منها العدو وقد عمل المسلمون استحضارتهم الازمة لتجنب الصدام المباشر معه لمراعات الفارق العددي بين الطرفين فعملوا على حفر الخندق بمشورة الصحابي الجليل سلمان الفارسي[١] ورغم تلك المحنة التي وجد المسلمون انفسهم فيها فقد انعم الله على رسوله اذ ساق الى المسلمين نعيم بن مسعود وهو رجل من رجال غطفان وقال يارسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فعمل نعيم على احداث خلاف بين بني قريظة وبين المشركين[٢] نجم على اثره دون حدوث صدام عسكري مباشر مع المسلمين هذا الى جانب ما أرسل الله على المشركين من رياح قلعت خيمهم وأطفأت نيرانهم **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا }**[٣] وهكذا انتهت هذه الحملة على خير مايريد المسلمون ليتفرغ بعدها رسول الله ليهود بني قريظة حيث امر

---

[١]ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد الجزري ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق خالد طرطوسي ، دار كتب العرب (بيروت ٢٠٠٦) ،ج٢،ص٣١٣.

[٢]المولى ، محمد احمد جاد ، قصص القران ، مكتبة دار الفجر ، (دمشق ٢٠١٠)،ط١،ص٣٤٤.

[٣]القران الكريم ، سورة الاحزاب ،اية ٩.

رسول الله بمحاصرتهم قال تعالى **{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ}** أي اليهود الذين تعاونوا مع المشركين وصياصيهم بمعنى قلاعهم[(١)]

التي احتموا فيها هرباً من المسلمين وحين اشتد عليهم الحصار قالوا يحكم بيننا سعد بن معاذ سيد الاوس على اعتبار انهم حلفاء معه قبل بعثة الرسول فاقرهم رسول الله على ذلك فقال سعد اني احكم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله (لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة ارقة) [(٢)] فكان هذا هم الحكم ان يقتل فريقاً منهم وتؤسر فريقاً اخر جزاء بما فعلوا فكان عدد قتلى اليهود حسب روايات الاخباريين مايربوا عن (٧٠٠) رجلاً .

وبذلك طوى هؤلاء المؤرخين صحيفة بني قريظة بعد ان صدر بهم الحكم حسب ماجاء في كتب السير .

والذي يجب ان نتوقف عنده ونحن ندون هذا الحدث التاريخي الهام هو الرواية التي اتى بها ابن اسحاق اذ يورد ما حدث بعد ان انصاع اليهود الى حكم سعد بن معاذ (رض) اذ يقول (فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث أمرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد رأس القوم وهم ست مئة او سبعة مئة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمان مئة

[(١)]محمد فؤاد عبد الباقي ، معجم غريب القران ، دار القلم (بيروت ١٩٥٠) ص١١٧ .

[(٢)]ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ج٣،ص٤٣٦.

والتسع مئة) [١] ، واذا اردنا ان نناقش هذه الرواية نقاشاً علمياً نجد ان هناك الكثير من علامات التعجب والاستفهام حولها فهل يعقل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتل هذا العدد الكبير من اليهود صبراً وبدم بارد لان زعمائهم قد نقضوا الحلف معه ولنبداء بما ياتي :.

١. ان مصدر الرواية التي ذكرها ابن اسحاق واقتبسها بعض المؤرخين عنه[٢] اعتمدها من محمد بن كعب القرظي وعيظة القرظي وهما من يهود بني قريظة الذين دخلوا في الاسلام ونحن لانريد ان نطعن بهما ولكن انما ذكر هذا العدد لربما من باب التفخيم للعقاب الذي استحقه اليهود جراء شناعت الفعل الذي اتوبه في معركة الخندق حين نقضوا حلفهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٢. تشير الرواية ان هؤلاء الاسرى اليهود قد تم حبسهم في دار بنت الحارث[٣] ، فهل يعقل ان تتسع تلك الدار لتظم بين جدرانها من ٧٠٠ الى ٩٠٠ رجل في ذلك الوقت دون ان يحدثُ اي جلبة او فوضى وهم يعلمون انهم يساقون الى الموت خاصة اذا علمنا ان اجمال القوة التي كانت مع الرسول في معركة الخندق قبل تفرقهم ((ثلاثة الاف من المسلمين)) [٤] فهل يعقل ان

---

[١] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ،ج٣ ، ص٧٢١ .
[٢] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص٥٨٢ ، ابن الاثير الكامل في التاريخ ،ج٢، ص١٦٨ .
[٣] ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج٣، ص٧٢١ .
[٤] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص٥٧٠ .

تستنفر المدينة كل مقاتليها ليكونوا (٣٠٠٠) رجل في حين ان بيت واحد يضم ان يكون بمقدور بيت واحد ان يضم (٩٠٠) رجل من الذين قتلوا .

٣. لاتذكر رواية ابن اسحاق سوى شخصين فقط تم قتلهم فضلا عن امراة كانت قد سجنت في بيت عائشة (رض) قتلت ايضاً لانها اسهمت بمقتل احد المسلمين بالقاء حجر عليه اثناء حصار اطم بني قريضة فهل يعقل ان يناسى الراوي اسماء ٩٠٠ شخص اخرين .

٤. الرواية فيها تناقض واضح فلو كان القتل تشريع من الله بحق هؤلاء الاسرى لما وجبت الشفعة في بعض اليهود في قسم منهم اذ نجد في سياق الرواية ماياتي :.

قال ابن اسحاق وحدثني ايوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابي صعصعة اخو بني عدي بن النجار ان سلمى بنت قيس ام المنذر اخت سليط ابن قيس وكانت احدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلت معه القبلتين وبايعته بيعة النساء سألته رفاعة بن سموأل القرظي وكان رجلا قد بلغ فلاذ بها وكان يعرفها قبل ذلك فقالت يانبي الله بابي انت وامي هب لي رفاعة فانه قد زعم انه سيصلي ويأكل لحم الجمل قال فوهبه لها فاستحيته[1] وكذلك يورد ابن اسحاق ان ثابت بن قيس الشماس قد اتى رسل الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه قد كانت للزبير بن باطا القريضي علي منه وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو

[1] ابن هشام ، سيرة النبي ، ج٣ ، ص٧٢٤ .

لك فقال. الزبير شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي .

هب لي امراته وولده قال هم لك فاتاه (اي ثابت اتا الى الزبير) فقال وهب لي رسول الله اهلك وولدك فهم لك ، قال (اي الزبير) اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ، فاتى ثابت رسول الله فقال يارسول الله ماله . فقال الرسول (ص) هولك فأتاه ثابت فقال قد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك[١] .

٥. انما يدعو للشك والريبة ان كل كتب التاريخ لاتوجد فيها ولو اشارة واحدة تدل على وجود اثر للموقع الذي قتل فيه اليهود او على اقل تقدير مقبرة خاصة تضم رفات هولاء القتلى فمن غير المعقول ان يقتل (٩٠٠) شخص دون ان نجد لهم اثر في المدينة يدل عليهم .

٦. من المعروف ان التدوين التاريخي للمسلمين بدأ في القرن الاول الهجري وكانت الروايات التاريخية تتناقل شفاهاً او عن طريق الشعر ومن الغريب اننا لانجد اي رواية تاريخية او قصيدة شعرية تؤرخ لهذه الحادثة علما ان غزوة بني قريظة تناولتها السن الشعراء ومنهم حسان بن ثابت[٢]. ولا يوجد بها ذكر لاي عدد لهؤلاء القتلى كما يورده بن اسحاق .

[١]ابن هشام ، سيرة النبي ،ج٣ ، ص٧٢٤ .

[٢]عبد الله سنده ، ديوان حسان بن ثابت ، دار المعرفة ، (بيروت ٢٠٠٨) ، ص١٤٠ .

٧. ان ماجاء في الرواية يتنافى مع سماحة الاسلام وتشريعاته الثابته قال تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) فكيف يقتل (٩٠٠) شخص بوزر شخص او شخصين من زعمائهم .

٨. ان مايؤكد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتص فقط من الزعماء والمحرضين الذين خرقوا معاهدة الصلح معه هو ايعازه ان تقتل المرأة اليهودية التي رمت احد الصحابة بحجر فقتلته كما جاء في رواية ابن اسحاق التي ذكرها في سياق الحدث السابق لانها اتت بجرم استحقل عليه القتل لذا نجد انها طلبت للقصاص دون سواها من اليهود لتنال جزاء فعلها.

ومن المفيد هنا ان ذكر نص لكتاب غربي معاصر وهو يصف ماحل باليهود في المدينة المنورة يقول ((والواقع ا نها اول حرب فتح حقيقية للمسلمين تمت ضد اليهود فقد قتلوا او نفوا ثم وزعت ارزاقهم واراضيهم على الفاتحين واسرهم وسبيت نساؤهم واطفالهم بل احتفظ محمد لنفسه باحدى نسائهم طبقا للعادات المتبعة من جانب الزعماء المنتصرين)) [١].

اما المستشرق ارنولد اتوينبي[٢] فقد وصف اليهود بقوله (لم يقبل يهود يثرب كما قبل وثنيوها دعوة محمد الى الاسلام لكن اليهود تصرفوا تصرفا متهورا اخرق

---

[١] الفريد ، لويس دي بريمار ، تاسيس الاسلام ، ترجمة عيسى ماحبي و دار الساقي (بيروت ٢٠٠٩) ، ص١٠٩ .

[٢] ارنولد تـوينبي ، تـاريخ البـشرية ، ترجمـة د. نقـولا زيـادة ، الاهليـة للنـشر والتوزيـع ، (بيروت ١٩٨٨)،ج٢،ص٨٧ .

دون ان يكون لذلك داع فانهم فضلا عن نيلهم من القران بالذات نظموا عصيانا واشتركوا في مؤامرة ضد المسلمين فحل بهم العقاب فصودرت املاكهم واجلوا عن المدينة تدريجيا) .

فلو كانت رواية ابن اسحاق لها سندها الصحيح عند هؤلاء اليهود لاصبحت تراتيل في صلاتهم .

الاستنتاجات

يمكننا ان نستنتج من خلال هذه الدراسة مايلي :.

١.ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) نضم العلاقة مع غير المسلمين بدساتير تكفل للطرفين حقهما في العيش المشترك وحرية اختيار الدين .

٢. ان التشريع الاسلامي كفل حق الاسير وعامله معاملة حسنة وضمن له حرية الحياة والحفاظ على حياته .

٣. ان يهود المدينة تم اجلائهم منها ليس بدافع الانتقام بكونهم لم يعتنقوا الاسلام انما لانهم اخلوا بشروط المعاهدة مع المسلمين .

٤. ان الروايات التاريخية يجب ان تخضع لدراسة دقيقة قبل الاخذ بها والاعتماد عليها كمصدر لاغنى للباحث عنه .

المصادر/

- **القران الكريم .**

١. ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد الجزري ،
(الكامل في التاريخ) ، تحقيق مامون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ٢٠٠٧ .
(اسد الغابة في معرفة الصحابة) ، تحقيق خالد طرطوسي ، دار كتب العرب، بيروت ٢٠٠٦ .

٢. الجوهري ، الامام اسماعيل بن حماد ،
(معجم الصحاح) ، تحقيق خليل مامون ، دار الفكر بيروت بلا .

٣. ابن خياط ، ابي عمرو خليفة بن خياط ،
(تاريخ خليفة بن خياط)، تحقيق مصطفى نجيب، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ .

٤. ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري ،
(الطبقات الكبرى) ، دار التحرير ، القاهرة ١٩٦٨ .

٥. الطبري ، محمد بن جرير ،
(تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ .

٦. ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ،
(تفسير القران الكريم) ، مكتبة الهلال ، بيروت ٢٠٠٨ .

٧. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ،
(لسان العرب) ، دار صادر ، بيروت بلا .

٨. المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ،
(التنبيه والاشراف) مكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨١ .
٩. ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب ،
(سيرة النبي صلى الله عليه وسلم)تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة١٩٧١ .
١٠. اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب ،
(تاريخ اليعقوبي) تحقيق خليل المنصور ، دار الاعتصام ، طهران بلا .

المراجع

١. ارنولد توينبي ،
تاريخ البشرية ، ترجمة د. نقولا زيادة / الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٨
٢. الفريد لويس دي بريمار ،
(تاسيس الاسلام) ترجمة عيسى ماحسبي ، دار الساقي بيروت ٢٠٠٩ .
٣. جواد علي ،
(المفصل في تاريخ العرب) مكتبة جرير ، بيروت ٢٠٠٦ .
٤. سيد قطب ،
(في ظلال القران) دار الشروق ، القاهرة ٢٠٠٤ .

٥. عبد المنعم ماجد ،
(التاريخ السياسي للدولة العربية) ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٠.
٦. عبد العزيز سالم ،
(تاريخ العرب قبل الاسلام)مؤسسة الثقافة الجامعية ، القاهرة ١٩٧٣ .
٧. عبد الله سنده ،
(ديوان حسان بن ثابت) دار المعرفة ، بيروت ٢٠٠٨ .
٨. فيليب حتي ،
(تاريخ العرب) دار الكشاف للنشر ، بيروت ١٩٨٦ .
٩. ابن السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ،
(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٠ .
١٠. المولى ، محمد احمد جاد ،
(قصص القران) ، مكتبة دار الفجر ، دمشق ٢٠١٠ .
١١. محمد فؤاد عبد الباقي ،
(معجم غريب القران) ، دار القلم بيروت ١٩٥٠ .
١٢. الزبيدي ، محمد مرتضى ،
(تاج العروس) دار الفكر ، بيروت بلا .